

ماذا يقصد ترامب بحديثه عن هُجومٍ وشيكٍ على السعودية



اطلع العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز جلسة مجلس الوزراء السعودي التي انعقدت طهر اليوم الثلاثاء على تفاصيل اتصاليه الهاتفي المَطَوَّل مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وما تم خلاله من بحثٍ للعلاقات "المتميزة" وسُيْل تطويرها في ظل الشراكة الاستراتيجية بين البلدين.

وكالة الأنباء السعودية الرسمية "واس" التي بثت هذا الخبر، لم تكشف عن فحوى هذه المُكالمة وما ورد فيها من مطالبٍ ابتزازيةٍ وقحةٍ، كما أنها تجنبت ذكر مضمون أي رد سعودي عليها، إذا كان هناك احتمال بالرد بالفعل، واكتفت بسطرين فقط عن هذه المسألة، وهذا أمرٌ غير مستغرب في الوكالات الرسمية الخليجية عموماً.

الرئيس ترامب لا يكتفم سرّاً، خاصةً عندما يتعلّق الأمر بالتطاول على حلفائه السعوديين والخليجيين، والسُّخريّة منهم، وتوجيهه الاتهامات إليهم، وبطريقةٍ فوقيّةٍ مُتغترسةٍ، الأمر الذي لا يحدث مع أي قيادات أو شعوبٍ أُخرى في العالم، إلا ما ندر.

الرئيس ترامب تجاوز كُـل الخُطوط الحَمراء، وأُصول التّخاطُب المُتّبعة مع المُلوك والرؤساء عندما قال في خِطابٍ له في تَجْمُوعٍ انتخابيٍّ في ولاية فرجينيا "أنا أُحب السعودية، وقد أُجريت انّصافًا لها تَفِيصًا مُطوِّلاً مع الملك سلمان هذا الصّباح، وفُلت له إنَّك تَمَلُّك تريبليونات من الدُّولارات، وإِذٌ وحده يَعلَم ماذا سيَحدثُ للمملكة في حال تَعَرَّضت لهُجوم"، وأضاف "فُلت له أيُّها الملك ربُّما لن تَكون قادرًا على الاحتفاظ بطائرتك لأنَّ السعودية ستعترض لهُجوم، لكن مَعنا أنْتُم في أمانٍ تام، لكننا لن نَحصلُ في المُقابل ما يَجِب أن نَحصلُ عليه".

فإذا كان الرئيس ترامب يُحِب السعودية فِعْلاً، فلماذا يُعامِلها بهذه الطّريقة الوَفرحة، ويَكشف أسرارها وبطريقةٍ غير لائقة طابَعها السُّخريّة والتّهديد، وكيف سيكون حاله لو كان يَكرهها؟ ونحن نَجْزِم بأنّه لا يُحبّها، ويَسْتَخسر عليها الثّروة، ويَعتقد أنّها لا تَسْتحقّها، ومن مُنطَلقات عُنصريّته وكراهيّته للعرب والمُسلمين.

السّلافة في هذا النّص المُوثّق ليس طابَعه الابتزازيّ الاستخفاييّ فقط، وإنّما أيضًا ما وَرَدَ فيه أكثر من مرّة، من أنّ المملكة العربيّة السعوديّة ستعترض لهُجوم، وأنّ أمريكا هي الوحيده القادرة على التّصدّي له، وحماية مَواطنيها وطائراتها.

لا نَعْرِف من الذي سيقوم بهذا الهُجوم الذي يَتحدّث عنه الرئيس ترامب وكأنّه حَتَميٌّ، ويُوجي في الوَقْتِ نفسه بأنّه وشيكٌ، فهل يَقصِد الرئيس ترامب إيران في هذه الحالة؟ وإذا كانت إيران فِعْلاً هل ستقوم بهذا الهُجوم بشكلٍ مُباشريٍّ واستباقيٍّ، أم كَرَدٍ على عُدوانٍ أمريكيٍّ إسرائيليٍّ عليها يأتي بعد فَرَض الحَظَر النّظفيّ الشّهر المُقبِل بهَدَف تغيير النّظام في طَهران؟

الأمريكيّون، والغربيّون عُمومًا، لا يتحدّثون عن الحُرُوب بهذه الصّراحة، إلا في حال وجود سيناريوهات جاهزة للتّنفيد، ومُحدّد تاريخها باليَوم والسّاعة، فَهْم لا يَدبّنون سياساتِهم وحُرُوبهم كَرَدٍ فِعْلاً مِثْلَما هو حال العرب عُمومًا، وإنّما وِفْق استراتيجيّات وبرامج عمل مُحدّدة مُتَّفَق عليها من قِبَل الدُّول العميقة، فالعُدوان على العراق تقرر قبل خمس سنوات، وتغيير النّظام في ليبيا من خلال طائرات حلف الناتو اعتُمِد قبل ثمانيّ سنوات، والتّحصير لتفجير الأوضاع في سورية وتهيئة المَنَاح إعلاميًّا وعسكريًّا جاءَ قبل ثلاث سنوات على الأقل، حيثُ بدأنا نُشاهد مَخْصًا للملايين من الدُّولارات في قنواتٍ تلفزيونيّةٍ ومُحُف ومَطبوعات، وفَما نل مُسلّحة.

الرئيس ترامب حَصلَ على 500 مليار دولار من المملكة العربية السعودية أثناء زيارته للرّياض في آيار (مايو) عام 2016، ويبدو أنّهُ يتطلّع إلى ضعفيّ هذا الرّقم، ونستنتج ذلك من خلال حديثه عن امتلاكها "التّريليونات" وليس المليارات من الدُولارات، بالقياس مع أقوالِ سابقَةٍ له، تقول أنّ بلاده، أي أمريكا، يجب أن تحصل على "حصّة" من العوائد النفطية السعودية والخليجية، وكذا من الحماية لأنّه لولاها لما استمرت قيادات هذه الدُول في الحُكم أسبوعًا ولسافر هؤلاء على الدّرجة السّياحية.

لا نعتقد أنّ هذا التناول الابتزازي من قبيل الرئيس الأمريكيّ على المملكة ودُول خليجية أخرى سيَتوقف عند هذا الحد، ولا نستبعد أن يتطوّر إلى أساليبٍ أكثر وفاحّة إذا لم يجد أحدًا يوقفه عند حدّه بقوّةٍ وصرامةٍ، ومن خلال المُعاملة بالمثل، فالصّين ردّت على عُقوباته بفرض رُسومٍ جمركيةٍ على الصّادرات الأمريكيّة بالسّلاح نفسه، وأوروبا تبنت نظام تبادل تجاري لا يعتمد على الدولار يؤهّلها بالاستمرار في استيرادها للنفط الإيرانيّ ومُعاملات تجارية أخرى، والباكستان رفضت الابتزاز وتلبية مطالب الإدارة الأمريكيّة في مكافحة الإرهاب ورفقًا للسّياسات والمَنظور الأمريكيّ، وخاصّةً في أفغانستان، رغم خَسارتها حواليّ بليون دولار سنويًّا من المُساعدات، وعلاقة استراتيجية امتدّت لأكثر من خمسين عامًا.

نُدرِك جيّدًا أنّ السعودية ليست الصين، ولا في قوّة الاتحاد الأوروبي، ولكن هذا التناول الأمريكيّ يزداد وفاحّةً وابتزازًا، ولا بُد من وقفه، لأنّه باتَ ضخم التّكاليف الماليّة وأخلاقيّةً، ويَدخُل مَناطيق "مُحرّمة"، ويُشكّل إهانةً للسُّلطات السعودية.

فإذا كان هذا الابتزاز يَستند إلى "الفرّاعة" الإيرانيّة، فلتذهب السعودية إلى خيارٍ آخر، وهو فتح قنوات الحوار مع إيران ومحوّرها، مثلما فعل ترامب نفسه مع كوريا الشماليّة، وقبّلها إدارة أوباما مع طهران حول أزمة البرنامج النووي، ومن وراء ظهر الحليف السعوديّ، الذي باعته صفقات أسلحة بأكثر من 120 مليار دولار استعدادًا للحرب الوشيكة معها، أي إيران.. فهل ستلجأ السعودية إلى "الخُطة B"، وتَضَع حدًّا لهذا الابتزاز، مثلما فعلت تركيا أخيرًا.. نأمل ذلك، وسلطنة عُمان جاهزة كقناةٍ وساطةٍ سريةٍ إذا ما طُلبَ منها.